كلام النبي ﷺ

وأثره على اللغة العربية

بقلم الدكتورة راحيلة خالد قريشي *

قال الله تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي﴾ [1] دراسة أخبار النبي ﷺ وأحواله تدل إلى أنه كان عظيما في كل مجال وفي كل ميزان فهو عظيم في ميزان الدين، وميزان الدنيا، وعظيم في ميزان العلم، وميزان العمل، حتى كان عظيما عند من يختلفون في العقائد، وأنه نقل قومه من الإيمان بالأصنام إلى الإيمان بالله، ونقلهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الحق الأعلى، ونقل العالم كله، من ركود إلى حركة، ومن فوضى إلى نظام، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية ولم ينقله هذه النقلة قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات.

فالنبي ﷺ عظيم وإنسان عظيم ومستكمل للصفات التي لا غني عنها في النجاح كل رسالة عظمية من رسالات التاريخ [2] وأريد أن أومئ إلى

---

* - أستاذة مساعدة بقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية بهاوليور.

[1] - سورة النجم آية ٣، ٥.

[2] - سيرة الرسول العربي لأحمد التاجي ١٤٢/٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٩٨م - ١٩٧٨م.

تلك العظمة من ناحية أسلوبه [1] في كلامه ﷺ، وإن الله تعالى أدبه بأحسن الآداب، فقال محمد بن علي [2]" وأدب الله محمدا بأحسن الآداب، إذ قال ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾، وقال [3] النبي ﷺ عن نفسه "إن الله أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد"، وقال صلى الله عليه وسلم " بعثت بجوامع الكلم" [4] فإذا نتأمل كلام النبي نجد فيه قدرته الكاملة على فصاحة اللسان وهي التي عليها المدار في تبليغ الرسالة، فكان أعرب العرب، وكان يسحر القلوب بأسلوب كلامه البديع، فوصف الجاحظ كلامه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث الحكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة [5].

فكان النبي ﷺ قليل الكلام، معرضا عن اللغو، ولم يقل إلا الحق ولو قاله في مزاح وخلا كلامه عن الحشو والتكرار والزيادة، وأحب من الناس من لا يتكلم إلا إذا عرض له حاجة، فقال ﷺ [6] : "رحم الله رجلا، قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم"، وكره أن ينسب إليه من القول ما لم يقله،

---

[1]- الأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب وفي اصطلاح علم اللغة هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود، وأفعل في نفوس سامعيه، له ثلاثة أنواع هي الأسلوب العلمي، والأدبي، والخطابي، (جوهر البلاغة لأحمد الهاشمي).

[2]- البيان والتبيين ٢/٢٢٦، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق فوزي عطوف، دار صعب، بيروت.

[3]- صفوة الصفوة ١/٢٠١، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة.

[4]- المصدر السابق.

[5]- البيان ٢/٢٢١.

[6]- سير الرسول ٢/٥٧٩.

والعرب الذين بعث إليهم الله النبي ﷺ لهدايتهم ورشدهم كانوا أشد فخرا ببراعة بيانهم وفصاحة ألسنتهم، وقدرة كلامهم، ولهذا السبب دعي القرآن جمعيهم إلى المعارضة في بلاغته الباهرة، ودعوته إلى القريش للمعارضة تدل بما أتوا من قدرة الكلام ولكن النبي ﷺ كان ابينهم بيانا وأفصحهم منطقا، قيل [1]: "بيان منطقة وفصاحة كلامه شيء تفوق به على العرب، وهذا لأنه تولد ونشأ وتزوج في قبائل لها فضيلة ومكانة ممتازة من القبائل الأخرى" فكان مولده في بني هاشم وأخواله من بنى زهرة ورضاعة في بنى سعد بن بكر ونشأ في قريش وتزوج في بنى سعد [2]. فله من اللسان العربي أفصحه بهذه النشأة القرشية البدوية الخالصة وبرضاعته في بنى سعد (وسعد بن بكر من أفصح العرب وكانوا من العرب الضاربة حول مكة ولا يزال كبراء مكة يرسلون أحداثهم إلى أماكن هذه القبائل من البادية لإحكام اللهجة العربية والرواة أجمعون على فصاحة اللهجة وحسن البيان لبنى سعد بن بكر [3].

وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها كلام النبي ﷺ [4]: " ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه" [5].

وتحدثنا كتب السيرة أن النبي ﷺ كلما تكلم بكلمة أعادها مرة ومرة ثلاثا، حتى تفهم عنه في كثير من الأحيان، وهذا لأن أصحابه ذوا

---

[1]- المصدر السابق ١٤٢/٢.

[2]- تاريخ آداب العرب ٢٨٥/٢ لمصطفي صادق الرافعي، الطبعة الثانية دار الكتاب العربي بيروت، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

[3]- قد ذكر الرافعي في المجلد الأول من تاريخه مكانة بنى سعد الممتازة في القبائل العربية.

[4]- إسلاميات ص ٢٠، لعباس محمد العقاد،دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

[5]- السرد هو متابعة الكلام على الولاء والاستعجال به.

العقول المتفاوتة فهما، ولا يريد النبي ﷺ أن يحرم الضعيف منهم المعرفة والفهم، فقالت عائشة [1]: "كان النبي ﷺ يحدث حديثا، لو عده العاد، لأحصاه ليس كحديث أحدكم" -وكذا روي [2]: "أن النبي ﷺ إذا أخذ يتلو على أصحابه ما نزلت عليه من آيات القرآن (ففي أثناء عودته) كشف عن الوجوه أقنعتها"-، وهذا لأنه كان معلم الأخلاق ومصلح الأحوال، فكان يجتهد في تفهيم المؤمنين ما أراد من كلامه لكي لا يختلفوا بعده، ولا يتزايدوا في قوله أو فعله، ولهذا السبب منع المسلمين عن كثرة الحديث عنه.

فأسلوب كلام النبي ﷺ هو أسلوب منفرد، لم يقصر في شيء من قوله ولم يبالغ في شيء ولا نعرف أسلوب أحد من البلغاء والفصحاء بهذه الصفات، قال الرافعي يصف كلامه [3]: "الكلام النبوي ﷺ جامع مجتمع، لا يذهب في الأعم الأغلب إلى الإطالة بل كالتمثال يأتي مقدرا في مادته ومعانيه وأسلوب الجمع بينها وربط الصورة بالمعنى".

والنبي ﷺ يبغض التكلف والتصنع في الكلام ولم يتكلف القول أبدا ولم يقصد إلى تزئينه، تروى كتب السيرة [4] أنه كان يكره السجع [5] ولكن لم يأبى عنه بتة، ولا يخلو كلامه من سجع يأتي على السجية، روى أنه كتب إلى النبي ﷺ أبو سفيان، فأجابه بكتاب جاء فيه بالسجع [6]، وهو "وصل كتاب أهل الشرك والنفاق والكفر والشقاق وفهمت مقالتكم فوا الله ما عندي

---

[1]- سيرة الرسول ٢/٢٥٩.

[2]- سيرة الرسول ٢/٢٥٩.

[3]- تاريخ آداب العرب ٢/٢٩٣.

[4]- إسلاميات ص ٧٠، ٧١.

[5]- السجع هو ائتلاف الكلام، كما تؤتلف القوافي والكهان كانوا يخضعون به السامع ليوهموه أنه يستمع إلى طلاسم السحرة والشياطين.

[6]- إسلاميات ص ٧٠ ، ٧١.

جواب إلا أطراف الرماح وأشغار الصفاح، فارجعوا بلدكم ويلكم عن عبادة الأصنام وابشروا بضرب الحسام ونقص الهام، وخراب الديار وقلع الآثار".

قال العقاد [1] عن مكتوب النبي ﷺ هذا : "هذا السجع في هذا المقام أصلح لخطاب الجاهليين لأنهم يعرفون معنى التوثيق والتمكين كما يعرفون منه معنى المناجزة والتخويف"الحلم والحذر والتقدير والتفكير، وكلما افتتح الكلام افتتحه بأشداقه ولما اختتمه، اختتمه بها، أي استعمل جميع فمه للتكلم فروى [2]: "أنه لم يقتصر على تحريك الشفتين وذلك من قوة المنطق والصوت وحضور الذهن واجتماعه وكانت العرب تتمادح بسعة الفم وتذم بصغره، لأن السعة أدل على امتلاء الكلام وتحقيق الحروف وجهارة الأداء" ولكن كره عليه السلام التشديق وعاب إذ قال [3]: "أبغضكم إلى الثرثارون والمتشدقون" وفي رواية "المتفيقهون" وكان يحب الاختصار، ويفضل الإيجاز في الكلام ولو بغيره من الناس، وأوجز القول موضع الإيجاز وبسط الكلام موضع البسط، وكان يقول [4]: "إن الله يكره الانبعاق في الكلام فنضر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته".

وكان أوتي جوامع الكلم فكل حديث من أحاديثه المباركة، يدل دليلا صادقا على أنه أوتي جوامع الكلم حقا ورزق من فصاحة اللسان وبلاغة الكلام بلا شك ولهذا قيل [5]: "أنه اجتمع النبي ﷺ المعاني الكبار في الكلمات القصار" بل اجتمع العلوم الوافية في بضع كلمات فبسطها الشارحون في

---

[1]- المصدر السابق.

[2]- آداب العرب ٢/٢٩٥.

[3]- المصدر السابق ص ٢٩٠.

[4]- المصدر السابق ص ٣٠٥، والبيان ٢/٢٢١.

[5]- أمراء البيان ص ٤، لمحمد كرد علي ، دار الأمانة، بيروت.

مجلدات، من أمثلة ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا" فعلم السلوك في الدنيا والدين، وجمع كله في أقل من سطرين قصيرين.

وقال الجاحظ يصف كلامه : "هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه" [1]، ففي أقواله [2] مثلا "الحرب خدعة"، و"لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"، و"لا ترفع عصاك من أهلك"، و"إن من البيان لسحرا"، و"الولد للفراش وللعاهر الحجر"، و"والإيمان قيد الفتك"[3]،و"كل الصيد في جوف الفرا" [4]، تصوير بارع لما قاله الجاحظ في وصف كلامه ﷺ، وقد جمع الجاحظ في البيان والتبيين طائفة من كلام النبي ﷺ التي دارت بين الناس دوران الأمثال، والتي تعد ذخيرة رائعة من كلامه وأقواله ﷺ، من ذلك قوله في الأنصار : "أما والله ما علمتكم إلا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع" [5]، وقوله في المسلمين: "المسلمون تتكافأ دماءهم وليسعى بذمتهم أدناهم، و هم يد على من سواهم" [6]، وقوله: "لا تزال أمتي صالحا أمرهم ما لم تر الأمانة مغنما، والصدقة مغرما"[7]، وقوله:"رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس" [8].

---

[1]- إسلاميات ص ٧٤.

[2]-البيان ٢/٢٢١.

[3]- العقد الفريد ٣/٣، ٤ لابن عبد ربه تحقيق محمد سعيد العربان، دار الفكر.

[4]- أي منع منه كأنه قيد له وفي حديث آخر "لا يفتك المؤمن" والفتك هي العجلة.

[5]- قاله لأبي سفيان ومعناه أنك في الرجال كالفرا في الصيد، والفراء هو الحمار الوحشي.

[6]-البيان ١/٢٢٣.

[7]-المصدر السابق.

[8]- المصدر السابق.

وقوله: "قيدوا العلم بالكتابة"[1]، وقوله: "لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا" [2]، وقوله: "أعوذ بالله من دعاء لا يسمع وقلب لا يخشع، وعلم لا ينفع" [3]، وقد جاء "ابن الجوزي" بأقوال النبي ﷺ في كتابه التي جرت مجرى الأمثال منها قوله ﷺ: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" [4]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "نية المؤمن أبلغ من عمله" [5]، وقوله ﷺ : "الصمت حكم (أي حكمة)، وقليل فاعله [6]، وقوله ﷺ: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة" [7]، وقوله ﷺ "الخلق السيئ يفسد العمل كثير مما لا يمكن لنا الإحصاء في هذا الموضع.

وكان يحب الإيجاز والاختصار في الكلام، ولكنه أطال الكلام إن رأي وجها للإطالة، فخطب بعد العصر ذات مرة وقال فيها: "[8] "إن الدنيا خضرة حلوة وإلا إن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون" فاتقوا الله."، ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف، فقال (ما بقي من الدنيا فيما مضى إلا كما بي من يومكم هذا فيما مضى" فنرى أنه عليه الصلاة والسلام بسط الكلام لتعليم الناس وإرشادهم إلى الحق والهداية.

وكان يختار النبي ﷺ الكلمات المناسبة دائما للكلام، وكان يعنى عناية شديدة بتخيير الكلمات لو أطال الكلام ولو أوجزه، فأثر عنه أنه كان

---

[1]- المصدر السابق.
[2]- المصدر السابق.
[3]- المصدر السابق.
[4]- المصدر السابق.
[5]- صفة الصفوة ٢/٢٠٢ وما بعد.
[6]- المصدر السابق.
[7]- المصدر السابق.
[8]- المصدر السابق.

يقول:[1] "لا يقولن أحدكم خبث نفسي ولكن ليقل لقست نفسي" وهذا لأنه كره أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه.

فاجتماع الكلام وقلة الألفاظ مع إبانة واتساع المعنى وأحكام أسلوبه بغير تعقيد وتكلف هذه الصفات التي اجتمعت في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وفاق أسلوبه عن سائر الأساليب بتناسب الأجزاء والتركيب الجزل.

وعندنا أسلوب كلامه الآخر وهو الأسلوب الذي اختاره في مكتوباته ومواثيقه ودراستها تدل إلى أن السمة الغالبة على كلام النبي صلى الله عليه وسلم هي سمة الإبلاغ[2]، قيل: "رسائله إلى الملوك والأمراء ممن لم يسلم ولم يهتد، فإنما كانت للإبلاغ أول الأمر، فأوجز القول فيها واقتصر على الدعوة إلى الحق، أو على ما عقد بهم من العهود، وخاطب كل قوم من العرب بلسانهم وكانوا مختلفون في اللغات واللهجات، والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم هذا فخاطب كل قوم على لغاتهم ولهجاتهم، بل كان أفصحهم بيانا وأبلغهم كلاما، فنرى أنه إذا كتب إلى خالد ابن الوليد في رد كتابه فخاطبه بلسان قريش وهو لسان سهل مبين، وهو [3]: (فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبرني أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، واقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته)، نجد كلام النبي ﷺ واضحا ولسانه صافيا وأسلوبه عذبا سهلا، ولكنه إذا كتب إلى قوم باليمن [4]: (وهم بنى نهد)

---

[1]- المصدر السابق ص ٢٠٧.

[2]- أداب العرب ٣٠٢/٢.

[3]- البلاغة تطور وتاريخ ص ١٤، الحيوان ٣٣٥/١، للجاحظ، طبعة الحلبي.

[4]- إسلاميات ص ٧٢.

فخاطبهم بلسانهم الحميري الذي فيه كثير من الكلمات الغريبة وكذلك مكتوباته إلى بنى همدان[1](وهي قبيلة من اليمن) وإلى أهل حضرموت [2]، حافلة بالكلمات غير المعروفة في العرب، وذكر فيها الأسماء التي لا يعرفوها العرب، ولهذا سئل منه أبو بكر الصديق [3]،(إذا سمع النبي ﷺ):"لقد طفت في العرب وسمعت فصحائهم، فما سمعت افصح منك، فمن أدبك، قال النبي ﷺ: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[4] خيرا وأوصاه بحسن السلوك بالسبايا والنسوة، مثل قوله " اغزوا باسم الله في سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله واغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا ولبدا" [5].

هذا هو أسلوبه في تعليم الولاة فأمرهم ووصاهم بدون الحشو والزيادة في الكلام، إلا ما قصد إليه ومثل ذلك كتابه إلى النجاشي[6]، أعلن فيه بالتوحيد ورسالته ثم أشار إلى المسيح وإلى أمه مريم لم تؤثر في كتب أخرى وأراد به أنه كيف اتفق دين الإسلام الذي دعى إليه على صفات عيسى بن مريم عليه السلام.

يبدوا بهذا البحث أنه كان النبي ﷺ منفردا في كلامه كما انفرد في كلامه عن سائر الناس، وأنه ما جاء عن أحد من بلغاء الفصحاء من كلام رائع مثل ما جاء عن النبي ﷺ قيل [7]: "ولمن شاء أن يحسب أسلوب النبي

---

[1]- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ٦٢/٢، رقم الرسالة ٣١، لأحمد زكي صفوت، الطبعة الأولى ١٣٥٦، ١٩٣٧م.

[2]- الجمهرة ٥٧/٢، رقم الرسالة ٢٨.

[3]- الجمهرة ٥٦/٢ رقم الرسالة ٢٦.

[4]- الجمهرة ٥٨/٢ رقم الرسالة ٢٨.

[5]- آداب العرب ٣٠١/٢.

[6]- للنبي ﷺ القول مثل ذلك لعلي بن أبي طالب وقد نقله ابن الجوزي في صفوة الصفوة.

[7]- إسلاميات ٦٨/٢.

ﷺ كتابة أو خطابا فهو أسلوب عصري يقتدي به المعاصرون في زماننا هذا وفي كل زمان، لأن الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة هو أسلوب عصري في جميع العصور ويخطئ من يحسب الوصل بين الجمل شرطا للكلام العربي القديم، والفصل بينهما علامة من علامات الأساليب المبتدعة في الزمن الأخير" ولحديث النبوي ﷺ أثر عميق على اللغة والأدب، فإنه عاون القرآن الكريم في انتشار اللغة العربية وفي حفظها وبقائها ووسع المادة اللغوية حتى صار كلامه كله مثلا سائرا وميراثا خالدا في البيان العربي، وله من مجاز اللغة كلمات وتراكيب لم يسبق إليها قول من العرب أو من العجم، منها الأسماء والمصطلحات الشرعية مما لم يرد من القرآن الكريم ومنها ألفاظ كان العرب أنفسهم يسألونه عنها ويعجبون لانفراده بها فروى[1]، أن النبي ﷺ قال لأبي تميمة الهجيمي: "إياك والمخيلة" فقال يا رسول الله ﷺ نحن قوم عرب ؟ فما المخيلة ؟ فقال سبل الإزار، (يراد بها الكبر) فاستعملت الكلمة على هذا الوضع بعد ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام :"إياكم وخضراء الدمن"[2]، قالوا: وما خضراء الدمن، أجاب: المرأة الحسناء في المنبت السوء".

وقال النبي ﷺ: "إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم" [3]، أراد به أن الماشية يروقها نبات الربيع، فتأكل فوق حاجتها فتهلك، وأنه زجر لهذا الكلام عن فضول الدنيا، وقال: "خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة" [4]، أراد به خير المال إنتاج أو زرع.

---

[1]- السيرة النبوية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ٤١/٢، دار المعرفة بيروت، ١٣٩٦، ١٩٧٦م وإسلاميات ص ٦٨.

[2]- إسلاميات ٧٣/٢.

[3]- العقد ٣/٣.

[4]- المصدر السابق.

وأجاب النبي ﷺ الصحابة بقوله حينما عجبوا من فصاحته وهو يصف لهم السحابة: "ما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني، لسان عربي مبين" [1].

فاشتغل العلماء والبلغاء بلغة الحديث والأثر[2]، ودأب علماء اللغة وأهل الحديث بها واختصوها بالمؤلفات، وأقاموا عليها الدراسات المفيدة وجعلوا يتلمسون ما وقع في متن الحديث من لغة، وهو ما اصطلح عليه عندهم بالغريب [3]، وأفاد الدراسات والمعاجم والمردود المحكم والضعيف والمرسل والمعضل والمنقطع والمدلس وغيرها.

والذين اعتنوا بضبط وترتيب مصطلحات الحديث منهم "القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي" المتوفى سنة ٣٦٠، الذي صنف المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ، وله "معرفة علوم الحديث"، ومنهم أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠، وله "المستخرج على معرفة علوم الحديث"، ومنهم أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، الذي رتب "الكفاية في علم الرواية" وهو كتاب حافل بتحرير مسائل هذا الفن، ويعتبر من أجل مصادر العلم، وفي هذا المجال كتب كثيرة للعلماء مثل للإمام النووي، والإمام السيوطي، والإمام العسقلاني وغيرهم [4].

---

[1]- صفة الصفوة ١/٢٠٣.

[2]- المصدر السابق ص ٢٠٥.

[3]- آداب العرب ٢/٤٠٢.

[4]- الأثر في اللغة بقية الشيء وفي اصطلاح الحديث لها قولان : هو مرادف الحديث أي معناهما واحد اصطلاحا، والثاني مغاير له وهو ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال.

أما فن غريب الحديث فنشط العلماء بتصنيف وتأليف غريب الحديث، منذ أواخر القرن الثاني، وأفرد العلماء[1] ناحية خاصة بين علوم اللغة والحديث في جمع ما جاء في كلامه من الغريب وشرحه ورتبه وما زالوا يصنفون فيه الكتب ويضعون المعاجم كلها على طريقته الخاصة، وقيل [2]،: أول من ارتاد الطريق إلى فن غريب الحديث وصنف فيه هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي المتوفى سنة ٢١٠هـ[3]، وهو جمع من كلمات غريب الحديث والأثر في كتاب صغير ذي أوراق معدودات وقد سد حاجته في عصره إذا كان الناس فيهم بقية من معرفة"، وشرح غريب الحديث بعده أبو الحسن النضر بن شميل المازني وعبد الملك بن قريب الأصمعي، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب.

ثم جاء أبو عبيد القاسم بن سلام بعد المائتين وألف كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار وسلخ في تأليفه أربعين سنة، ثم شرحها أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ، ومن مؤلفيه وشارحيه الآخرين أبو العباس المعروف بثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ، وأبو العباس المعروف بالمبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ، وأبو عبيد أحمد بن محمد الهروي المتوفى سنة ٤٠١هـ، وأبو القاسم إسماعيل بن الحسن بن الغازي البيهقي المتوفى سنة ٤٠٢هـ، وأبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، وابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ، وغيرهم [4].

---

[1]- الغريب هو ما وقع في متن الحديث من الألفاظ الغامضة بعيدة الفهم لقلة استعمالها أو دقة معانيها.

[2]- التذئيل والتذنيب، ص ٥ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المكتبة التراثية الطبعة الأولى ١٤٥٢هـ، ١٩٨٢م.

[3]- المصدر السابق.

[4]- الفائق في غريب الحديث (مقدمة الكتاب) للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، حواشي من علي بن محمد البجادي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٤هـ، ١٩٤٥م.

وما زال العلماء والبلغاء يبذلون جهودهم في شرح الكلمات الغريبة من الأحاديث المباركة، وصنفوا كتبا وجمعوا فيها ما بين غريب القرآن، والحديث ورتبه حسب حروف المعجم، واعتنوا بشرح الكلمات اللغوية واستخرجها من كلام العرب، وبينوا معانيها، وأضاف عليه شوقي ضيف [1] بقوله: "أنه من تأثيره أيضا نشأة الكتابة التاريخية، لا في السيرة النبوية فحسب بل في تراجم المحدثين للحكم لهم، أو عليهم فيما نقل عنهم ومن غير شك هو سعد وأسد الغابة والإصابة والاستيعاب وغيرها، فالحديث هو فتح باب الكتابة التاريخية وهيأ لظهور كتب الطبقات في كل فن، كذا نشأ عن كلام النبي ﷺ نهضة علمية رائعة.

فالحديث النبوي ﷺ صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن الكريم، قيل [2]: "هو المورد الثاني بعده من موارد دراسة اللغة العربية لغة ونحوا وأدبا وبلاغة وهي الحجة الواضحة التي يغزع إليها أهل اللغة، وهي الحافظ الصادق بعد القرآن للغة السماء أي "اللغة العربية" ولهذا يقتبس الأديب من لفظه وينتفع البليغ بصوغه، ويستمد مفسر القرآن الكريم من أثره، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه ويشيد اللغوي صرحا للغة من كلماته ويستظهر الحكيم بحكمته" [3].

---

[1]- النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١ للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير مؤسسة إسماعيليان قم (إيران).

[2]-المصدر السابق.

[3]-العصر الإسلامي (تاريخ أدب العربي.

المراجع والمصادر

١ سيرة الرسول العربي لأحمد التاجي مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٩٨م – ١٩٧٨م.

٢ البيان والتبيين ٢٢٦/٢، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق فوزي عطوف، دار صعب، بيروت.

٣ صفوة الصفوة ٢٠١/١، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة.

٤ البيان والتبيين ٢٢٦/٢، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق فوزي عطوف، دار صعب، بيروت.

٥ تاريخ آداب العرب ٢٨٥/٢ لمصطفي صادق الرافعي، الطبعة الثانية دار الكتاب العربي بيروت، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٦ إسلاميات لعباس محمد العقاد،دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

٧ أمراء البيان لمحمد كرد علي، دار الأمانة بيروت.

٨ العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق محمد سعيد العربان، دار الفكر

٩ البلاغة تطور وتاريخ للجاحظ طبعة الحلبي.

١٠ جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م.

١١ آداب العرب

١٢ السيرة النبوية لابن كثير دار المعرفة بيروت، ١٩٧٦م.

١٣ التذئيل والتذبيب لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المكتبة التراثية الطبعة الأولى عام ١٩٨٢م.

١٤ النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير مؤسسة اسماعيليان قم (إيران).

١٥ العصر الإسلامي (تاريخ الأدب العربي) لشوقي دار المعارف بمصر.

١٦ المفصل في الأدب العربي لأحمد الأسكندري وزملائه المطبعة النموذجية.